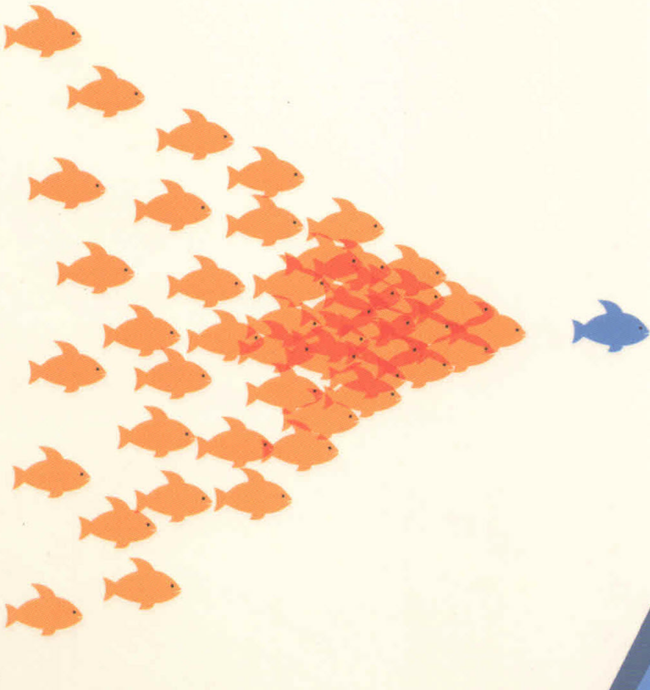
مركز الافلاك للاستشارات التربوية والتعليمية

الإصدار
الثاني

تربية القادة



فضيلة الشيخ
د.أحمد بن عبدالله العماري
عميد كلية القرآن بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة سابقا

دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به
0125562986 | yyy.01@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

"نبذة مختصرة من حياة الشيخ"

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

فقد عشتُ مع شيخي الفاضل الدكتور محمد أمين المصري-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- سنة دراسية كاملة في قسم جامعة الملك عبد العزيز بأم القرى قسم الدراسات العليا مرحلة (الماجستير). عام (١٣٩٤-١٣٩٥هـ) من غير اللقاءات والزيارات والأحاديث الجانبيّة معه.

وحديثي عن الشيخ الجليل-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- سيكون من خلال رؤيتي ومشاهدتي له شخصيا في تلك السنة الدراسية وغيرها، وليس من رأى كمن سمع، وسأذكر بعض ما رأيت وشاهدت في حياة شيخي، وقبل ذكري لهذه الأشياء أذكر نبذة موجزة عن حياته، سائلا الله تعالى التوفيق والسداد.

ولد الشيخ/ محمد أمين المصري-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بدمشق عاصمة الخلافة الإسلامية سابقاً، وعاصمة البلاد السورية حالياً، وذلك في عام (**١٣٣٤**هـ **١٩١٤**م). وذلك إبان الحرب العالمية الأولى. وتوفي عام (**١٣٩٧**هـ -**١٩٧٧**م) إثر عملية جراحية أجريت له في سويسرا، ثم نقل إلى مكة المكرمة، وصلي عليه في المسجد الحرام، ودفن بها.

حصل على الشهادة الجامعية وما بعدها من الجامع الأزهر من كلية أصول الدين، وكانت رسالة الدكتوراه بعنوان (معايير النقد عند المحدثين) وله عناية بالعلوم الشرعية، والجوانب التربوية، وقد التقى بزعماء الحركات الإسلامية، كالشيخ حسن البنا في مصر، والشيخ أبو الأعلى المودودي في باكستان عند ما عمل في باكستان في التدريس، كما عمل في المدارس الثانوية

في دمشق، ثم انتقل إلى مكة المكرمة وعمل في كلية الشريعة بالجامعة، وشارك في تأسيس الدراسات العليا، ثم انتقل إلى الجامعة الإسلامية، ودرّس فيها، وأسّس فيها الدراسات العليا، وكان له أثر كبير في الطلاب الذين تلقوا على يديه، وكان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يعتني بالجانب التربوي الحسي والمعنوي، ويتهم نفسه بالتقصير قبل الآخرين، فيقول عن نفسه:(وإني وأيم الحق لأجد أيامي هزيلة، ونفسي رخيصة، لم ترتق عن مرحلة الطفولة، ولم تبلغ درجة الرشد، ولم تذوق معاني الرجولة، ولو طلب إلي أن أكتب تقريراً بشأن نفسي لقلتُ: إنه ليس براض عن مستواه الإيماني، ولا يرى أن مثل هذا المستوى يمكن أن يحدث تأثيراً واضحا في طلابه، ليس براض عن عمله، ولا يؤديه وهو واثق بأن السبيل التي يسلكها هي التي تؤدي إلى نجاة الأمة،

فلا المناهج ولا الطرائق التي يتخرج بها الطلاب بالتي تخرج للأمة أبطالا ودعاة، ولذا فهو يعتبر نفسه أجيراً يعمل ما يرضي صاحب العمل في سبيل العيش، وربما يعجب الكثيرون من هذا القول)أ.هـ.

○ ويقول في هذه الرسالة ما نصه: (**يجب أن نعرف ضعفنا وأخطاءنا:-**

يلومني كثير من الإخوان لاعترافي بتقصيري وذكرى على الملأ كثيراً من الصفات التي تقعد بي عن النهوض في خدمة أمتي، ويقول هؤلاء الإخوان: الأولى ترك ذكر المثبطات. وأقول: إن أبناءنا يشمون نواحي الضعف في أساتذتهم وآبائهم؛ وليس من الخير أن نعمّي عليهم الأمور، بل الخير أن نصف الواقع ونعرف الواقع معرفة دقيقة، وكثير منا لا يرى ضعفا في نفسه، وكثير يعرف نواحي الضعف معرفة غامضة.

يجب أن نعتاد التأمل في نفوسنا تأملا دقيقا، يكشف خفايا النفوس ويضع أيدينا على مواطن الضعف، فذلك ييسر لنا سبيل العلاج ويكون دافعا إلى السير إلى الأمام.)

ويربط الشيخ محمد-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ببين التربية الإيمانية، والتربية الجهادية العملية، فيقول: (ثم إن تزكية النفوس وتربية الإخلاص في العمل أن تتم في حقل الجماعة الإسلامية، وفي ميادين الجهاد، وهكذا كانت تربية المسلمين الأولين). ويضرب على ذلك بما حصل لهم في غزوة الأحزاب فيقول:

(عاش المسلمون في غزوة الأحزاب ثلاثين يوما، والعدو محيط بالمدينة من أطرافها، وليل الصحابة كنهارهم، حذر مستمر، وسهر دائم، والمسلمون يعانون من الخوف والجوع والعدو ما يعانون، وهناك

في مثل هذا الجو المحاط بالرهبة المطبقة الذي تسلم فيه النفوس إلى بارئها، وتفوض إلى مدبرها، وتتيقظ الضمائر، وتستيقظ العزائم، يجد المؤمنون العون مصاحبا لا يفارق في الحركات والسكنات، وفي هذا الجو الخاشع المخيف تتجلى معاني الإقدام في سبيل الله، وتتضاعف قوة الإيمان، وتمحص القلوب، يتم كل هذا بما لا يمكن أن يتم مثله-بل جزء يسير مثله- في مئات السنين في العزلة وفي أعماق الزوايا، إن روح الإيثار تبدو في ساعات الشدة، والمعاني الرفيعة تغرس في القلوب في الساعات التي تتعرض فيها الجماعات للأخطار، والموت مخيم على الجميع بظله الرهيب، وروح الصبر على الشدائد والجلد والمكاره وروح الثقة بالله والإيمان به والإخلاص له وانتظار فرجه وروح التعاون والتآزر، كل هذه تبرز في ساحات الجهاد، وفي

صفوف المؤمنين الذين يقدمون أرواحهم خالصة لوجه الله... وحياة القتال تلك الحياة التي يقدم المؤمن فيها المعاني الطيبة، فيسهل الإيثار، وتسقط الأنانية، وتذهب الأثرة، أما الدعوى مجاهدة النفس في حالات الرخاء والأمن والدعة فهي مشوبة بكثير من المغالطات).

-راجع كتاب: سبيل الدعوة الإسلامية-.

ومرة من المرات ألقى محاضرة في قاعة كلية الشريعة بمكة، وكان حديثه يدور حول وجود القلة التي تنقذ الموقف، ويتمنى وجودها والانخراط معهم، فقام أحد الحاضرين فقال للشيخ ألا ترى أن جماعة التبليغ هي الصالحة لذلك؟

فقال الشيخ: لقد عشت معهم ليالي لا أنساها، لكنهم لا يصلحون لذلك.

وكان شيخنا-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يدرسنا مادة "مصطلح الحديث" في كل يوم خميس من كل أسبوع، وكان يصطحب معه ابنه عبدالرحمن الذي كان زميلا لنا في شعبة الفقه، وكان يقبل علينا محملاً بالكتب العلمية في فن المصطلح بين يديه، وإذا دخل علينا الفصل أغلق الباب ولا يسمح لأحد بالدخول بعده، وإليك بعض ما **شاهدته واستفدته منه:**

١- كان أنيقاً في ملبسه، ومهيباً في شخصيته، وجميلا في منظره، تأنس به إذا رأيته، وتصغي إلى حديثه إذا تكلم، بل تتمنى أنه لا يسكت.

٢- كان خطيباً مفوّهاً، وبليغاً ناطقاً، وفصيحاً في بيانه وعرضه، بعيداً عن الغموض فيما يعرضه، وعن التقعر فيما ينطقه، وعن الغرائب فيما يختار، عرفت ذلك فيه من خلال سماعي له لخطبة الجمعة في

مسجد فقيه بالعزيزية بمكة، حيث كان خطيبا له فترة من الزمن، عالج في خطبه بعض قضايا الأمة المهمة.

٣- كان مؤثراً في حديثه للناس، لكونه يتكلم بحرقة وأسى على أحوال المسلمين، وهذا مصداق المثل السائر"ليس الثكلى كالنائحة المستأجرة". خطب ذات يوم جمعة عن غزوة بدر، فكانت عيون الحاضرين شاخصة إليه، وآذانهم صاغية له، فلما وصف ذلك الرعيل الأول بما يستحق ، أخذ يقارن بينهم وبيننا، فقال في معرض حديثه عنا فيما معناه: إننا لا نستحق الوصول إلى ما وصلوا إليه لأننا كلاب دنيا وأنا واحد منهم.

فلما أكمل الصلاة قام فضيلة الشيخ/عبدالرحمن العشماوي المصري معلقاً على الخطبة فلما وقف أمام

الناس وسلم عليهم صفق في يديه وبكى وجلس متأثرا، فكان موقفا مؤثرا للناس جميعا.

٤- كان يستقبل الناس بوجه طلق، والبسمة تكاد لا تفارق محياه،ولا يتذمر من سؤال الناس له، أو الحديث معه، وكان إذا خرج من باب المسجد بعد صلاة الجمعة يتلقاه الناس ويصافحونه ويسلمون عليه.

٥- كان جاداً في أموره، بل تعتبر الجدية شعاراً له في الحياة، وهذا الشعار ضعف في الواقع البشري لدى كثير من الناس، وكم هذه الأمة بحاجة شديدة إلى التلبس به، والسعي في تحقيقه، لكي تقضي على الأمراض الاجتماعية الناخرة في جسدها، وهي تشعر أو لا تشعر.

ومظاهر الجدية في حياة شيخنا الجليل تتجلى في عدة أمور:

❋- في الهمّ الذي يحمله من نصرة الدين، والنهوض بالأمة، والعناية ببناء الأجيال.

❋- وفي الحفاظ على الوقت واستثماره، فما تراه أو تجده في أوقاته هازلا،أو مشتغلاً بأمور الدنيا، وما شابه ذلك مما نراه ونشاهده منا ومن غيرنا في واقعنا المعاصر والمشاهد.

❋- وكان إذا دخل علينا قاعة الدرس يغلق الباب عليه وعلينا، ولا يسمح لأحد بالدخول بعده، وهذه الجدية فيه جعلتنا معشر الطلاب نتسابق في درسه خاصة إلى القاعة قبل حضوره، وقد طبق مبدأه الجاد في حياته، فمرة تأخر أحد الزملاء عن الدرس، فقرع باب القاعة ففتح

الشيخ الباب وطلب منه الطالب الدخول فرفض، فقال الطالب: إن تأخري بسبب عطل في السيارة! فقال الشيخ: كان تركتها واستأجرت سيارة وأتيت، ثم عدت لها وأصلحتها، ولم يدخله فكان لذلك الموقف علينا تأثير كبير.

* - وكان يلقي درسه علينا طوال السنة واقفاً، على قدميه، ولا يثني ساقه حتى ينتهي الدرس، ويدخل علينا الدرس وهو يحمل معه عددا من المراجع العلمية للدرس.

* - وكان جاداً في مشيته، فلا ترى عليه مظاهر الشيخوخة، من التوكؤ على العصا،، أو التلبد بالملابس،كما يفعله بعض الأساتذة الآخرون، أو غير ذلك مما يدل على كبر في السن.

❋- ومرة قابلته مع بعض الزملاء وهو طالع من الدرج للدور الثاني أو الثالث، فاستقبلنا وهو باش مسرور، فقلت له: ما شاء الله نشيط! فتبسم وقال: من فضل الله علي لو كان المبنى عشرين دوراً لطلعته.

❋- وكان يلف على ساقيه لفافة من القماش لكي يكون متماسكاً، ولا يظهر عليه التهدل والهزال في لحمة الساقين.

٦- كان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يتميّز بعدة صفات عظيمة، علميّة وتربوية، منها:

❋- سمة التواضع في أقواله وأعماله وحواراته.

❋- إدخال السرور على طلابه، وعلى الآخرين.

فكان إذا دخل علينا الفصل، وأغلق الباب سلم علينا وبدأ يصافحنا واحداً واحداً، ويمر علينا ونحن

جلوس، وينهانا عن القيام له، فكان لهذا التصرف أثر كبير في نفوسنا.

❋- تراجعه عن الخطأ. وهذه السمة قلّ من يطبقها في حياته.

فقد كان مرة يلقي علينا الدرس، فلما قرر المسألة عارضه أحد الزملاء فيما قرره، - وكان الطالب في قمة الأدب مع الشيخ- إلا أن الشيخ ما تحمل هذا الموقف من الطالب، واحتد عليه بشدة، وجعله تجربة لغيره، ومرّ أسبوع كامل على الدرس، ودخل الشيخ علينا يحمل كعادته عدداً من المراجع، ثم بدأ يثني ويشكر ويقدر لكل من صحح له معلومة، أو خطأ وقع فيه، هذا بصفة عامة، ثم ذكر المسألة التي عارضه فيها ذلك الطالب الهندي، وأثنى على الطالب خيراً وشكره على معلوماته وموقفه، وقرر أن الحق معه، فتهلل وجه الطالب وانبسط، ونحن كذلك انبسطنا وسررنا بهذا

الموقف التربوي، والذي كان له الأثر الكبير في نفوسنا جميعاً.

ولذلك يطلب من العالم أو المدرس أن يعترفا بالخطأ إذا وقع منهما فيقول:

(وبهذه المناسبة ربما حسن أن نذكر ظاهرة تتعلق بالأساتذة المربين، الذين أُسلِموا تربية أبناء الأمة فكانوا على ثغرة هامة، وأذكر بهذا الصدد أستاذاً في معهد التربية في القاهرة عام **١٩٤٧**م وضع أمام طلابه المشكلة التالية:-

أيهما أولى بالمدرس أن يعلن خطأه إذا وقع منه خطأ ويعترف به، أم يتفادى الموقف ويستر خطأه؟

وكان رأي الأستاذ أن يعترف المدرس بخطئه، إذا وقع منه ويعلنه بكل صراحة، وهذا هو اتجاه الإسلام في رأيي.

وإني لأعلم أن ثقة الطلاب بمدرسيهم تهتز حين يرونه قد أخطأ، وكثير من الأخوة المدرسين يرون أن الاحتفاظ بمكانتهم في نفوس طلابهم أمر ضروري هام، يهون معه ارتكاب هذه المخالفة – أعني سكوت المرء عن الاعتراف بخطئه – .

وفي رأيي أن هذا النوع من التربية الشائع في بيئتنا خطأ يجب إصلاحه.

إن الشيء الفطري الذي يمكن أن يقع كثيرا أن يفطن أحد الطلاب لأمر قد غفل عنه أستاذه، وأية عظمة في هذا؟ بل إنه لمدعاة إلى الثناء على الأستاذ أن يستطيع أن يدفع بطلابه إلى البحث والتفطن لما لم يفطن له.

ومما يؤسف له أن كثيراً من المدرسين في البلاد العربية لا يجد أحدهم ما يغض من قدره حين يعلن لطلابه أنه أخطأ في أمر، وأن تلميذه قد أصاب. ليس

العيب أن يخطئ المرء، ولكن العيب أن يصر على خطئه فلا ينزع عنه ولا يعترف به.)

*- اهتمامه بالآخرين، والسعي في قضاء حاجاتهم.

ألقى مرة محاضرة في الجامعة عن التربية وسبيل النهوض بالأمة، وذكر في محاضرته وسائل مهمة جداً، ما كان بودي ذكرها في ذلك الجمع الغفير من الناس - في وجهة نظري ذلك اليوم- وكان يتمنى أن يجد ثلة من الناس يقومون بذلك.

فلما انتهى من المحاضرة قام إليه طالب جامعي تبليغي، وعرض عليه جماعة التبليغ في القيام بذلك الدور، وطلب من الشيخ رأيه؟.

فأجابه الشيخ بالثناء على جماعة التبليغ، وقال: عشت معهم ليالي عظيمة، إلا أنهم لا يصلحون للقيام بهذا الدور.

*- ومن اهتماماته العظيمة فتح الدراسات العليا في جامعة أم القرى والجامعة الإسلامية، حيث استفاد من هذا المشروع أبناء الأمة الإسلامية، وقد افتتح هذه الرسالة بالعناية بطلاب الجامعة الإسلامية، فقال: (موضوع الحديث في هذه العشية الطيبة: [في تربية القيادة] وهو مجموع ملاحظات تتصل بالقادة وتنصب في الغالب على طلاب الجامعة الإسلامية، ذلك أن طلاب هذه الجامعة يتوقع منهم ويرجى لهم أن يتبوءوا قيادة في العالم الإسلامي، وهذا القول يؤيده الواقع، فلقد شهدت بأم عيني حين قمت بزيارة بعض البلاد الأفريقية خريجي هذه الجامعة يتألقون ذكاء في بلادهم واندفاعاً في سبل الخير وهم معقد الأمل وموطن الرجاء في إنقاذ شعوبهم.)

❋- حسن استقباله لمن قدم إليه زائراً، أو ناصحاً، أو مستفهماً.

لما سمعت تلك المحاضرة القيمة التي ألقاها في كلية الشريعة، وكان في نظري أن الواجب على الشيخ أن يتحفظ في إلقائها في مثل ذلك الجمهور، وأن الواجب إلقاؤها في نخبة أخرى، فعقدت العزم على زيارته أنا وزميل الدراسة(د/ سليمان السلومي) في بيته، بعد صلاة العصر، فرحب بنا، واستقبلتا خير استقبال، ونصحنا وحذرنا من الاستكثار من طنب الخيمة، يقصد الحياة الدنيا، ويقول: نحن وقعنا فيها فاحذروا أنتم من الوقوع فيها.

فلما فاتحناه في موضوع المحاضرة تهلل وجهه كأنه قطعة من القمر، وتبسم ضاحكاً، ودعا لنا بالتوفيق والسداد، وسألنا لمن تقرؤون؟ فأجبناه. فسرّ وانبسط، وقال: لا زالت الأمة بخير، وأخبرنا ببعض جهوده الدعوية المنظمة في بلاد الشام، والتي انكشفت من قبل

النظام، مما سبب عنده شيء من الإحباط فيمن يعمل معهم.

٧- كان يهتم بالبناء العقدي والتربوي والجهادي، في دروسه ومحاضراته وخطبه، حتى أن بعض من لا يدركون كلام الشيخ يتضجرون منه، من كثرة ما يردد هذه المعاني القيّمة،

ومن الجوانب التربوية التي استفدتها منه، كان إذا جاءنا في الدرس يأتي بصحبته ابنه عبدالرحمن، وكان زميلاً لنا في شعبة الفقه، فإذا أراد نصْحنا وعلاجنا بطريقة تربوية عالية، قال: أشكو إليكم عبدالرحمن. فنقول له: ولماذا؟. فيقول: ما صلى الفجر اليوم في جماعة! فينظر بعضنا إلى بعض فإذا بعضنا أو جلنا عبدالرحمن، فنفعنا الله تعالى بذلك التوجيه التربوي الغير مباشر بالنسبة لنا.

وأما الجانب الجهادي فكان يعتني بالآيات التي في سورتي آل عمران والأنفال، لاعتنائهما بمعركة بدر وأحد.

وقد ذكر في بعض رسائله أن ثمانين في المائة من الصحابة ماتوا في الثغور مرابطين في سبيل الله تعالى. -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- **رحمة واسعة وجزاه الله عنا خير الجزاء.**

ولقد اطلعت على رسالة له بعنوان:((تربية القادة)) ضمن محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية للعام الدراسي **١٣٩٥**هـ فألفيتها رسالة صغيرة في حجمها، كبيرة في مبناها، حوت معاني عديدة، وتوجيهات جليلة، ورأيت أن العالم والمتعلم بحاجة إليها خاصة في مثل هذا الوقت الذي أنعدم فيه القادة من عالمنا الإسلامي الذين يقودون ويوسوسون الأمة بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ من الحكام والعلماء بدليل:

أولاً: توزيع البلاد الإسلامية إلى دويلات متقاتلة ومتناحرة.

ثانياً: نشوء الطوائف والتيارات المنحرفة فيها.

ثالثاً: تملك زمام الأمر فيها ممن لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة اختاروا الوضع على الشرع، والرق على الحرية، والنفاق على الإخلاص، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

رابعاً: تصدع صف المسلمين، وتفرقت كلمتهم، مما نشأ عنه وجود التعددية والتحزب.

خامساً: غربة الإسلام بين أهله وفي بلده، حتى أصبح الملتزم بمبادئ دينه يوصف بل يوصم بالتزمت والتشدد والتطرف والإرهاب.

وهذه الرسالة القيمة قد طبعت ونشرت ضمن كتاب الشيخ- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ((سبيل الدعوة الإسلامية))

والمتضمن عدة محاضرات لشيخنا – رَحِمَهُ ٱللَّهُ– وهذه الرسالة من ضمنها إلا أن المنشورة ضمن محاضرات الجامعة الإسلامية تفارقها في عدة نقاط:-

الأولى: أن المقدمة الموجودة في هذه الرسالة هنا غير موجودة في المطبوعة والمنشورة في كتاب ((سبيل الدعوة الإسلامية)).

الثانية: أن العناوين الموجودة في هذه الرسالة غير موجودة في المطبوعة مع العلم أن لهذه العناوين مغزاً جيداً ومعنى مفيداً وهدفاً واضحاً.

الثالثة: أن هذه الرسالة كاملة بخلاف المطبوعة المنشورة فإنها ناقصة وبيان ذلك:

قوله في هذه الرسالة : ((يحسن بالعالم والمدرس أن يعترف بالخطأ.... إلخ)) الى قوله: ((أخذ العهد على المسلم أن يقول بالحق حيث كان)) محذوف من

المطبوعة المنشورة في كتاب ((سبيل الدعوة الإسلامية)).

الرابعة: بين الرسالتين اختلاف في العنوان، فهذه الرسالة عنوانها ((تربية القادة)) وتلك الرسالة المطبوعة المنشورة عنوانها ((تربية القادة لا تربية العبيد)) ففيه زيادة واضحة وقد ذكر شيخنا في آخر هذه الرسالة قوله ((تربية الأتباع تربية السادة لا تربية العبيد)) وأنا اليوم في هذه الطبعة الثانية اختار عنوان ((تربية القادة لا تربية العبيد)) لوضوح الهدف والمعنى فيه، ولأن الشيخ – رَحِمَهُ ٱللَّهُ– ذكر في ثنايا هذه الرسالة أن المخرجات لدى الأمة في هذا العصر لا تخرج أبطالا ولا قادة، ويطرح ذلك في صيغة سؤال ويجيب عليه فيقول:

(وتعال بنا ليسأل الواحد منا نفسه، ما هو غرضنا من الحياة وما هي رسالتنا؟

والجواب: أنا نعيش لأنفسنا وأغراضنا. إن الرسالة التي نقدمها رسالة قاصرة بتراء هزيلة، وإننا، نحن المربين، لا نخرج للناس رجالاً، ولا نخرج أبطالاً مؤمنين حقاً، والأسباب عديدة أولها وأكبرها نقص في أنفسنا، ويتبع هذا نقص مناهجنا ووسائلنا، ويلي ذلك الوسط الذي نعيش فيه الذي يطبعنا بطابعه وينفث فينا سمومه وضعفه ومخدراته.).

فموضوع هذه الرسالة هو مجموعة ملاحظات موجهة إلى القادة من طلاب العلم وبالأخص طلاب الجامعة الإسلامية، لما لهم من دور فعال وبناء في بلادهم وفي جميع أنحاء العالم، ولما يرجى منهم مستقبلا من القيام بقيادة الأمة الإسلامية، إلى شاطئ النجاة بأمر الله سبحانه وتعالى وأن القيادة المطلوبة ليست محصورة في

شخص بعينه أو في مجال واحد من مجالات الحياة بل المطلوب تعددها وتنوعها إذا أريد النهوض بالأمة.

وهذه الرسالة تقرر أن الضعف الحاصل في الأمة يكمن في قيادتها أولا، ثم في الأمة بمجموع أفرادها ثانياً.

كما تقرر أن الجامعات القائمة حالياً في بلاد المسلمين عاجزة عن إخراج قيادات تنقذ الأمة من مخاطرها وتفيقها من سباتها، وتحكم وتتحاكم إلى شرع ربها، وتترسم هداه في كل صغيرة وكبيرة رضى به وتسليماً له.

وإنما كل الذي تقوم به الجامعات اليوم هو إخراج أُناس لا يغنون عند الشدة، ولا ينفعون في المسرة، مشغولين بآمالهم الدنيوية، ناسين لأهدافهم الأخروية، وإذا كان لهم اهتمام بشيء من هذا فقد شابه الغش والخيانة حتى أصبح الاهتمام بالدين جسراً يرتقى عليه

من أجل الوصول إلى تحقيق الأهداف الدنيوية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لذا كانت الحاجة ماسة إلى مثل هذه الرسالة خاصة في هذا العصر الذي نجم فيه النفاق، وكثر فيه القيل والقال، وتزعم الناس رؤساء جهال، وأغيلمة أغمار فضلوا وأضلوا وترتب على ذلك تشكك الناس في طريقهم مع وضوحه، وتعثروا في السير مع سلامته، وتخلخل صفهم مع وحدته، وتفرقت كلمتهم بعد تجمعها، وضعفت عقيدتهم بعد قوتها، مما كان له الأثر في تخلي الناس عن حمل رسالتهم وتبليغها وعدم وجود قيادة صحيحة تسوس الناس بكتاب الله وسنة نبيه-ﷺ- وأن الأمة الإسلامية لمسئولة عن هذين الأمرين العظيمين.

يقول شيخنا –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– معلقاً على هذين الأمرين:

((وبعد تتبع الموضوع تبيّن أن القيادة ليست إلا شطر القضية، وشطرها الآخر الأمة بمجموع أفرادها، ولا بد من شروط تتحقق لتتم استجابة الأفراد للقيادة شروط في القيادة، وشروط في الأفراد أنفسهم، وكل ذلك يؤدي إلى تفاعل متبادل بين الجانبين، وانسجام بينهما)).

إن الأمة الإسلامية خير أمة أُخرجت للناس، وهذه الخيرية منة من الله سبحانه ومنحة منه لها، لا لذاتهم أو جنسيتهم أيا كانت، وإنما لما يقومون به من حمل رسالة الإسلام، والمجاهدة في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، حتى يكون الدين كله لله سبحانه، فصاروا قادة للأمم، بعد أن كانوا رعاة للغنم، ومعالم للهدى ومصابيح في الدجى، وأمنة للأمة من الفتن والردى.

قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي الحديث الصحيح عن أبي بردة عن أبيه - رضي الله عنه -قال: صلينا المغرب مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: ما زلتم هاهنا؟ قلنا يا رسول الله صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: أحسنتم أو أصبتم، قال فرفع رأسه إلى السماء -وكان كثيرا مما يرفع رأسه الى السماء- فقال: ((النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى اصحابي ما

يوعدون، وأصحابى أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي اتى أمتي ما يوعدون))[1].

ولما تخلى المسلمون عن دورهم القيادي ، صاروا في هبوط بعد صعود، وفي تأخر بعد تقدم، وفي ذل بعد عز، وفي سلب ونهب بعد منعة، ونزا عليهم من لا خلاق لهم، واستولى على عروشهم من يستحق السيف والجريد، فساموهم سوء العذاب يذبحون أبناءهم، وينتهكون حرماتهم، ويبددون ثرواتهم، وفق الياسق العصري اللعين، ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد.

يقول شيخنا محمد أمين المصري- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في وصف الأمة المحمدية:

---

١ - رواه مسلم في فضائل الصحابة. باب مؤاخاة النبي-ﷺ- بين أصحابه. ح رقم (٢٠٧/٢٥٣١).

((المسلمون خير أمة؛ لأنهم يحملون رسالة الإسلام إلى الناس جميعا.

ويقول الباحثون النفسيون، إن الفرد الذي يحمل رسالة كريمة هو الفرد المتكامل في شخصيته، والذي لا يحمل رسالة كالقصبة الجوفاء قلبه خاو، وهو لا يعرف معنى الحياة....

ويقول الباحثون الاجتماعيون أيضا: دور حمل الرسالة هو دور نهوض الأمة وصعودها، ودور التخلي عن الرسالة هو دور الانحدار والهبوط، ولقد ظل المسلمون يصعدون برسالتهم حينا من الدهر ثم تخلوا عنها شيئاً فشيئاً، فعاشوا فترة يسيرون بقوة الدفعة الأولى، ثم كان دور الانحدار)).

رحمك الله يا أبا عبدالرحمن حينما قلت: ومن فقه الرجل وإيمانه أن ينظر أين تسير أمته؟ وكيف تتوجه الأجيال في زمنه[1].

إن أمتنا اليوم تمشي على غير السنن المراد لها شرعاً، وأن أجيالها تتوجه إلى غير القبلة المنشودة، بسبب عوامل وصوارف ليس هذا مقام بسط القول فيها.

إن أمتنا تحتاج إلى بعث جديد ليجدد لها أمورها الدينية والدنيوية، ولتعلم علم اليقين أن هذا القرآن الكريم ما أُنزل عليها إلا ليكون منهجا لها تمشي وفق تعاليمه وتوجيهاته، ولا خيار لها في اتباعه أو الاستمساك به، أو اتخاذ ما تراه مناسباً لها في حياتها بدونه، بل ذلك مفروض عليها، كما فرض على الأنبياء والرسل من قبل – عليهم السلام – .

١ – انظر كتابه: المجتمع الإسلامي. ص٧٧.

قَالَ تعَـالَىٰ: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦ ﴾ [الأنعام:١٠٦].

و قَالَ تعَـالَىٰ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾[الأعراف: ٣]

قَالَ تعَـالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣ ﴾ [الأحزاب:١-٣].

و قَالَ تعَـالَىٰ: ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤ ﴾ [الزخرف:٤٣-٤٤].

إن هذه الأمة لا يمكن لها العودة إلى السنن المستقيم والوجهة الصحيحة إلا إذا استمسكت بهذا الوحي

العظيم، الذي اختاره الله لها من فوق سبع سموات وأكمله ورضيه ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴿٣﴾ ﴾[المائدة:٣].

ولا يمكن لأمتنا الرفعة والريادة إلا إذا تحاكمت إليه وحكّمته في جميع شئون حياتها تعليماً وإعلاماً وعسكرياً واقتصادياً وسياسياً وغير ذلك من مجالات الحياة برضاً وتسليم وخضوع وانقياد، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥].

وموضوع هذه الرسالة القيمة، هو الاهتمام بتربية القادة (الذين يتبعون في خطاهم ومسالكهم سيرة الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام).

وإن هذا الموضوع له جانبان:

الأول: الاهتمام باختيار القائد.

والثاني: الاهتمام بالأمة وأفرادها.

وإن في كل جانب شروطا لابد من تحققها فيه حتى يكون هناك كما يقول شيخنا محمد-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (تفاعل متبادل بين الجانبين وانسجام بينهما). لأنهم يحملون رسالة عظيمة وهي إخراج الناس من الظلمات الى النور، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعادة الآخرة.

وهذا ما صرح به الصحابي الجليل ربعي بن عامر[١]-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أمام قائد الفرس رستم[١] وهو يتفاوض معه قبل القتال في معركة القادسية.

---

١ - هو الصحابي الجليل ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو التميمي، شارك في معارك الإسلام، ومن أشهر تلك المعارك معركة القاسية

يقول شيخنا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في وصفه كلمة ربعي -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- (إنها كلمة تحمل في ثناياها سنن الرشد كلها، وأُسس الخير جميعها).

فالأمة الإسلامية جعلها الله تعالى خير الأمم، لأنها تحمل رسالة عظمى قولا وعملا، واعتقادا، ومع خيريتها فهي أيضا قائدة للعالم بأسره، وجاء في وصف نبينا محمد -ﷺ- قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا

بقيادة سعد بن أبي وقاص- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وقد انتدبه سعد إلى قائد الفرس "رستم" ليتفاوض معه، فذهب إليه وهو ثابت الجنان، قوي الإيمان، وصار بينه وبين رستم نقاش وحوار، انظر ما جرى بينهما في تاريخ ابن جرير الطبري(٣/ ٥١٩-٥٢٠).

١ - هو رستم فرخزاد قائد الجيش الفارسي أصله من أرمينيا،كان منجما، أرسله الملك الساساني"يزدجر" لمواجهة جيش المسلمين، وتمت المواجهة بين الفريقين في القادسية، وتم النصر بإذن الله للمسلمين، وقتل رستم في تلك المعركة.انظرموسوعة "ويكيبيديا".

كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ:٢٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

ويقول شيخنا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في وصف هذه الأمة المباركة ((إن المسلمين خير أمة أُخرجت للناس، ولذلك كانت لهم قيادة العالم بأسره، وهم خير أمة، لأنهم يحملون خير رسالة وأكرمها إلى الناس جميعا)).

إن الأمة الإسلامية اليوم تداعت عليها الأمم من كل جانب فغزتها في الصميم فأنستها مهمتها التي كلّفتْ بها، وتسعى جاهدة في سلخها من هويتها التي اختارها الله سبحانه لها، وهي الإسلام.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج:٧٧-٧٨].

يقول شيخنا –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– في بيان مهمة هذه الأمة .

((إن مهمة المسلمين إنقاذ الناس من الشرك بأنواعه، والوثنية بكل ضروبها، وفي ذلك تعود للإنسان إنسانيته وكرامته، فإذا ترك المرء القوانين التي يضعها الطغاة ليستمسك بشرعة الله كانت النتيجة أمرين:

أولهما: الخروج من ضيق الدنيا الى سعتها.

ثانيهما: الخروج من أنواع الظلم التي يضعها الإنسان ليستعبد أخاه الإنسان الى العدل الذي شرعه الله لعباده) أ.هـ.

وبالنظر إلى حالنا اليوم فإننا نحمل رسالة الإسلام اسماً لا مسمى فأصبحت رسالتنا بتراء، وضعيفة هزيلة، مخرجاتها في الواقع تدم القلب، وتكدر الخاطر، وصدق الشاعر (محمود غنيم) –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– عندما قال:

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوصا جناحاه

زاحم الكفر والعصيان عقيدتها، وانهدمت أركان حضارتها، وتعلقت نفوسنا بمبادئ غيرنا، ونهب الأعداء مواطنناً، وكل هذا بسبب حملنا لرسالتنا حملاً غير صحيح .

إذن هذه الأمة ذات رسالة كريمة فلا بد أن نربي أنفسنا وأبناءها وأجيالها على فهم هذه الرسالة وحملها وحبها حتى تتذوق حلاوتها كما جاء في الحديث

الصحيح (ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيناً رسولاً[1])- ﷺ-.

ولذلك أمرنا الله تعالى بتلاوة القرآن الكريم وفهمه وتدبره.

قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ [ص:٢٩].

وقال-ﷺ-:(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين[2]). والمراد من الفقه هو الفهم.

وأصدق من يحمل هذه الرسالة السماوية – رسالة الإسلام – هو القائد الذي تربى في ظلالها، وتذوق حلاوتها، وشعر بطعمها، وطاعت نفسه لها، فخضعت

---

١ – رواه مسلم في كتاب الإيمان. رقم (٦٠).

٢ – رواه البخاري في الإيمان. حديث رقم (٧١). ومسلم في الزكاة. رقم (١٠٣٧).

غرائزه ودوافعه وجوارحه لها، فقلبه كل يوم يزداد إيماناً، فيستعلي على أعداء الرسالة ولا يأبه بهم، ويتواضع لأصحابها ويقدرهم ويحترمهم، لأنهم إخوانه قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ فهم جميعاً مشتركون في الإخاء وفي الرؤية والتفكير وفي الهم وفي الروحة والغدوة، شعارهم (أحد أحد) المتمثل في قول (لا اله إلا الله محمد رسول الله) خالية نفوسهم من الحسد والضغينة، ومن الغدر والخيانة، ومن الصراع الداخلي أو الخارجي، هدفهم وغايتهم، تعبيد نفوسهم لخالقهم، وتعبيد المخلوقين للخالق، والوقوف ضد الشرك والوثنية في أي زمان ومكان.

والقائد المتربي الحامل لرسالته لا يتزحزح عن مبادئه، بل ثابت عليها ثبوت الجبال الرواسي، حتى ولو وضع المنشار على هام رأسه، وقدوته في ذلك رسولنا

محمد -صلى الله عليه وسلم- عند ما فاوضه عمه أبو طالب أن يترك قريشاً وأصنامهم، ويشتغل بنفسه ولذاتها قال -صلى الله عليه وسلم- (والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله، أو أهلك دونه[1]).

إن القائد المتربي ثابت على مبادئه، صابر على عقبات الطريق، تغمره السعادة والطمأنينة، مستشرفا لنصر الله تعالى وتوفيقه، متفائلاً لما يقع به وعليه، له نظرة صائبة، ودراسة شاملة للمواقف والمشكلات والوسائل، وله معرفة بالطاقات وتوظيفها، فهو يزرع في أصحابه وأتباعه الثقة، وحمل المسئولية والصدع بالحق ولا يخافون في الله لومة لائم، وأمرهم شورى بينهم كما جاء

١ - أخرجه ابن إسحاق في السيرة النبوية (١/ ٥٠)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢/ ٣١٠).

في القرآن، ومقتدين في ذلك بهدى نبينا محمد ﷺ مع أصحابه، حيث استشارهم في مواطن متعددة في غزوة بدر، وفي غزوة أحد وفي غزوة الأحزاب، وغير ذلك.

إن الأمة افتقدت هذه الصفات في القيادة المطلوبة بسبب الظلم والاستبداد الذي حل بها فكممت أفواهها، وصارت الأغلال تحيط بها من كل جانب، فأصيبت بالذل والهوان، وانحرفت عن هدى نبيها -ﷺ- في تربية أصحابه والسير على نهجه، فأصبحت غثاء كغثاء السيل ليس له قيمة ولا وزن.

يقول شيخنا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-(لقد انحرف المسلمون بكل أسف عن المعنى الذي ربى رسول الله- ﷺ- أصحابه: الجرأة في الحق، وإعلانه، والصدع به بصدق وإخلاص، وكان العهد الذي أخذ على الأصحاب في بيعة العقبة الكبرى أن يقولوا بالحق أينما كانوا لا يخشون

في الحق لومة لائم، وحين كممت الأفواه وأصبح المسلم يخشى أن يقول كلمة الحق تودع من الأمة، وانتهينا اليوم" إلى" أحد رجلين: معارض وقح لا يريد الحق، ولا يبغي الخير. أو موافق مراء فصانع يقول بلسانه ما لا يعتقد بقلبه، أما الصنف الثالث فقد أصبح نادراً جداً) أ.هـ.

إن الاعتناء بالقادة والأمة أمر ضروري لا بد منه، وأن أحاديث البشائر تدل على عودة الإسلام وتمكنه في الواقع البشري، وأنه سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، ولن يكون هذا إلا بوجود قادة نجباء، يمشون على وجه الأرض وقلوبهم معلقة بالسماء، وعلى وجود أمة ذات كلمة واحدة، وصف مرصوص تهتز لهم عروش الجبابرة، وتخضع لهم رؤوس الكياسرة والقياصرة، وما ذلك على الله بعزيز.

ولقد اعتنت الأمة الإسلامية بالقيادة للأمة من حين توفى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما لها من الأثر الإيجابي في حماية الدين، والحفاظ على الأمة في جميع مناحي الحياة، ولما تيقن للصحابة -رضي الله عنهم- موت النبي صلى الله عليه وسلم - اجتمعوا في سقيفة بني ساعده من أجل التشاور فيما بينهم في من ينصبونه خليفة بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وحصل بين المهاجرين والأنصار لغطٌ شديد، عبر عنه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حيث قال: (فكثر اللغط وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبابكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار[1]).

١ - رواه البخاري رقم(٦٨٣٠) ومسلم رقم(١٦٩١).

وهذه البيعة لأبي بكر الصديق - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- تمت في سقيفة بني ساعدة، ثم بايعه الناس في اليوم الثاني في المسجد وهي ما تعرف ببيعة العامة.

يقول أنس بن مالك - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أنه سمع خطبة عمر الآخرة، حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفى النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم، قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله-صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حتى يدبرنا - يريد بذلك أن يكون آخرهم - فإن يك محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد مات، فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به، بما هدى الله محمداً -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأن أبا بكر صاحب رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثاني اثنين، فإنه أولى المسلمين بأموركم فقوموا فبايعوه، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر.

قال الزهري عن أنس بن مالك سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر، فبايعه الناس عامة[1].

وهذه المواقف حصلت من الصحابة -رضي الله عنهم- ونبي الهدى والرحمة -صلى الله عليه وسلم- لا زال مسجّى لم يدفن في قبره، مما يدل على أهمية القيادة.

وعلماء الأمة الأجلاء الذين كتبوا في الفقه السياسي اعتنوا بهذا الأمر وسطروا فيه أقوالا بديعة، وفوائد فريدة، ومسائل عظيمة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–: (يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى

---

١ – رواه البخاري في الأحكام. رقم (٧٢١٩).

بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي - ﷺ - إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم. رواه ابو داود من حديث أبي سعيد، وأبي هريرة.

وروى الإمام أحمد في المسند عن عبدالله بن عمرو أن النبي - ﷺ- قال: لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم احدهم.

فأوجب -ﷺ- تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع[1]).

ويقول ابن تيمية أيضاً: (والولاة نواب الله على عباده، وهم وكلاء العباد على نفوسهم، بمنزلة أحد الشريكين مع الآخر، ففيهم معنى الولاية والوكالة).

---

١ - انظر السياسة الشرعية ص١١.

ويقول تلميذه ابن القيم: (الإمام نائب عن المسلمين يتصرف لمصالحهم، وقيام الدين[1]).

ويقول أبو الحسن الماوردي (ت٤٥٠): (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين، وسياسة الدنيا[2]).

ويقول الجويني (ت٤٧٨): (الإمامة رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة، في مهمات الدين والدنيا [3]).

ويقول أيضاً: (اختيار الإمام اتفق المنتمون إلى الإسلام على تفرق المذاهب، وتبيان المطالب، على ثبوت الإمامة، ثم أطبقوا على أن سبيل إثباتها النص أو الاختيار، وقد تحقق بالطرق القاطعة، والبراهين

---

١ - انظر زاد المعاد (٣/ ٤٢٥).

٢ - الأحكام السلطانية ص١/ ١٥.

٣ - غياث الأمم ص٢٢.

اللامعة، بطلان مذاهب أصحاب النصوص، فلا يبقى بعد هذا التقسيم والاعتبار إلا الحكم بصحة الاختيار[1]).

ويقول أيضاً: (والإمام نائب عن المسلمين أجمعين[2]).

ويقول القرطبي (ت ٦٧١): (فإن الإمام هو وكيل الأمة ونائب عنها [3]).

ويقول الشوكاني: (وبعد ذكره للحديثين اللذين ذكرهما ابن تيمية سابقاً. قال: (وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون، فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار، ويحتاجون لدفع

---

١ - غياث الأمم. ١/ ٥٤.

٢ - غياث الأمم ١/ ٥٤.

٣ - التفسير ١/ ٢٧٢.

التظالم وفصل التخاصم أولى وأحرى، وفي ذلك دليل لقول من قال: إنه يجب على المسلمين نصب الأئمة والولاة والحكام [1]).

وبهذا الاهتمام من أهل العلم بالإمام أو الخليفة أو الحاكم أو الرئيس أو الوالي فهذه كلها مسميات لمسمى واحد، جعلوا له مواصفات لا بد من توفرها فيه، وتصح ولايته، كالعلم، والعدالة، والشجاعة، والرأي وسلامة الحواس والأعضاء، والنسب القرشي إذا توفر، وألزموه بعشرة أمور من الامور العامة للمسلمين، وهي كما ذكرها الماوردي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

الأول: حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم مبتدع، أو زاغ ذو شبهة عنه، أوضح له الحجة، وبيّن له الصواب وأخذه بما يلزمه من

١ - نيل الأوطار(٨/ ٢٩٤).

الحقوق والحدود، ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من زلل.

الثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين، حتى تعم النصفة، فلا يتعدى ظالم، ولا يضعف مظلوم.

الثالث: حماية البيضة، والذّب عن الجريم، ليتصرف الناس في المعايش، وينتشروا في الأسفار آمنين، من تغرير بنفس، أو مال.

الرابع: إقامة الحدود، لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك.

الخامس: تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرماً، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دماً.

السادس: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم، أو يدخل في الذمة، ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله.

السابع: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير خوف ولا عسف.

الثامن: تقدير العطايا، وما يستحق في بيت المال من غير سرف، ولا تقتير، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

التاسع: استكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال، لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة، والأموال بالأمناء محفوظة.

العاشر: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال لينهض بسياسة الأمة، وحراسة الملة، ولا

يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين، ويغش الناجح[1].

فهذه البنود العشرة المجملة، لها تفصيلات ليس هذا موضعها، وقد تبع أبو يعلي الفراء الحنبلي الماوردي في ذكرها، فإذا قام القائد المختار بهذه الأمور وجب على الأمة أمران: الطاعة في غير معصية، والنصرة له عندما يدال عليه، ما لم يبدل أو يتغير هو في نفسه.

يقول الإمام مالك – رَحِمَهُ ٱللَّهُ–: (من قام على إمام يريد إزالة ما بيده إن كان – المقدم عليه – مثل عمر بن عبدالعزيز وجب على الناس الذب عنه والقيام معه،أما غيره فلا، دعه وما يراه منه، ينتقم الله من ظالم بظالم[2]).

١ – الأحكام السلطانية ص١٥.

٢ – شرح مختصر خليل (٨/ ٦٠).

إن العصر الراشدي يعتبر القدوة في الخلافة الراشدة، وما جاء بعده من العصور، ما بين ملك عضوض، كما أخبر به النبي -ﷺ- في قوله: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة الله على منهاج النبوة، ثم سكت[1].

١ - رواه احمد في المسند ٤/٢٧٣ من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولقد استحلّ الاستعمار بلاد المسلمين فمزقها كل ممزق، وفرّخ فيها وأنتج، ومسخ هويتهم الإسلامية، وانطبق عليهم قول الشاعر :

والمسلمون جماعـات مفـرقة في كل ناحية ملك وسلطان

مثل السوائم قد سارت بغير هدى تقودها للمهاوي السود رعيان

هذه المرحلة من أسوأ المراحل التي مرت على الأمة الإسلامية في تاريخها، فإذا كان الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ يقول: (الخلافة بعد منقرض الأربعة الراشدين شابتها شوائب الاستيلاء والاستعلاء، وأضحى الحق المخصص في الإمامة، مرفوضا، وصارت الإمامة ملكا عضوضا [١]).

فكيف بحال الأمة الإسلامية اليوم، ومن تولى أمورها.

---

١ - غياث الامم ص ١٣٩.

يقول الأستاذ الدكتور أحمد بن سعد الغامدي —رَحِمَهُ ٱللَّهُ—:

(المستقرئ للتاريخ المعاصر يرى أن غالبية الحكام قد خانوا الإمامة، وتجاوزوا الحدود، فقد عطلوا الشريعة، ومكنوا المنافقين، وحاصروا المتدينين، وكمموا الأفواه، وفتحوا السجون، وتفننوا في تعذيب الدعاة، وقتلوا كثيراً منهم، وأرعبوا الناس، ونهبوا ثروات الشعوب، وسخروا مؤسسات الدولة لمآربهم، وأفسدوا الإعلام، ومسخوا التعليم، وتآمروا مع أعداء الأمة لإذلالها [1]) أ.هـ.

١ - تجديد الفقه السياسي ص١٠٥.

والطريق طويل وشاق، والتبعة كبيرة وعظيمة، فلا بد من الصبر والتحمل مع لزوم المرابطة والتقوى، حتى يكتب الله تعالى الفلاح قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ويتلخص موضوع هذه الرسالة القيّمة في النقاط التالية:

١- أهمية القيادة في الأمة.

٢- التلازم بين القيادة والأمة.

٣- الخلل الكبير في المخرجات لدى الأمة فلا بد من إعادة النظر.

٤- إن إصلاح هذه الأمة مرهون باتباعها لهدي نبيها -ﷺ-. لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

٥- إن العصر الراشدي هو القدوة في التلاحم بين القيادة والأمة.

٦- إن هذه الأمة مرّ بها الملك العضوض والملك الجبري.

٧- إن الاستعمار تسلط على هذه الأمة ففرّقها ومزّقها شرّ ممزق.

٨- إن خلافتها الراشدة ستعود إليها بأمر الله تعالى.

٩- إن علينا مسؤولية عظمى في النهوض بأمتنا.

فإلى غد مشرق يكون فيه -بإذن الله- قادة يسوسون أمتهم وأمور حياتهم وشؤون أحوالهم، بكتاب الله وسنة نبيه محمد -ﷺ-، ويجمعون شتات أمتهم، ويوحدون صفها، ويقضون على فرقتها، ويعيدون لها مجدها وقوتها، وما ذلك على الله بعزيز، ولينصرنّ الله

من ينصره كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾ [محمد:٧].

✍ كتبه وحرره الدكتور/

أحمد بن عبدالله العمّاري الزهراني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا الدكتور/ محمد أمين المصري-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا...

○ طلاب الجامعات الإسلامية في مكان القيادة:

موضوع الحديث في هذه العشية الطيبة: (في تربية القيادة) وهو مجموع ملاحظات تتصل بالقادة وتنصب في الغالب على طلاب الجامعة الإسلامية، ذلك أن طلاب هذه الجامعة يتوقع منهم ويرجى لهم أن يتبوءوا قيادة في العالم الإسلامي، وهذا القول يؤيده الواقع، فلقد شهدت بأم عيني حين قمت بزيارة بعض البلاد الأفريقية خريجي هذه الجامعة يتألقون ذكاء في بلادهم واندفاعاً في سبل الخير وهم معقد الأمل وموطن الرجاء في إنقاذ شعوبهم.

○ المسلمون إلى الخير ولكن الضعف في القيادة:

ومنذ أكثر من ثلاثين عاما حين كانت أكثر البلاد الإسلامية ترزح تحت نير الاستعمار الصليبي كان السيد محب الدين الخطيب[1] يجاهد بقلمه وكان يصدر في مصر مجلة أسمها "الفتح" كانت محرمة في كثير من البلاد

---

١ - هو محب الدين بن ابي الفتح محمد بن عبدالقادر بن صالح الخطيب ولد في دمشق سنة (١٣٠٣) هـ وتوفى سنة (١٣٨٩) هـ تعلم في دمشق والأستانة وهو أحد المنشئين لجمعية ((النهضة العربية)) سنة ١٣٢٤هـ. رحل الى صنعاء وعمل في مدارسها، ثم عاد الى دمشق بعد اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م وقام بزيارة الى الأستانة، ثم قصد بعد ذلك القاهرة سنة (١٩٠٩م) وعمل محررا للمؤيد. اعتقله الانجليز في البصرة بعد ان انتدبته إحدى الجمعيات العربية للاتصال بأمراء العرب وذلك في أوائل الحرب العالمية الأولى. وقصد مكة بعد اعلان الثورة العربية سنة (١٩١٦م) وكان محررا لجريدة القبلة، واصدر عليه الأتراك حكما بالإعدام غيابيا. وعاد الى دمشق بعد جلاء العثمانيين عنها سنة (١٩١٨م) وكان مديرا لجريدة ((العاصمة)) ولما دخل الفرنسيون دمشق فر الى القاهرة، واستقر بها، وعمل بها محررا لجريدة الأهرام واصدر مجلتي((الزهراء)) و (الفتح) كما كان محررا لمجلة الأزهر. وهو من أوائل من أسس (جمعية الشباب المسلمين). وأنشأ المطبعة السلفية ومكتبتها ونشر عددا من الكتب العلمية التراثية. راجع كتاب الإعلام للزركلي.

الإسلامية، وكان من عادته أن يتوج الصفحة الأولى من مجلته بحكمة مأثورة، أو حديث شريف، ليوقظ العيون النائمة، وكان من ذلك حديث رسول الله -ﷺ-: (أنت على ثغرة من ثغر الإسلام؛ فلا يؤتين الإسلام من قبلك[1]) أو كما قال -ﷺ-.

ومن ذلك الجملة التالية:-

---

١ - ذكره الالباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣/ ٣٠٩) رقم (١١٦٥). وقال: (لم أجده بهذا اللفظ لكن أوقفني بعض الإخوان -جزاهم الله خيرا- على ما في كتاب السنة للمروزي ص ٨ رواه بسند صحيح عن الوضين بن عطاء عن يزيد بن مرثد مرفوعا بلفظ " كل رجل من المسلمين على ثغرة من ثغر الإسلام، الله الله لا يؤتي الإسلام من قبلك". قلت: فهذا بمعناه، لكن فيه علتان الأولى: الإسال: فان ابن مرثد هذا تابعي له مراسيل كم في التقريب. والأخرى: الوضين بن عطاء، فانه مختلف فيه، وقد جزم الحافظ بأنه سيئ الحفظ، فيخشى أن يكون أخطأ في رفعه، فقد عقبه المروزي بروايتين موقوفتين على الأوزاعي والحسن بن حي، وفيها ضعف والله اعلم.

المسلمون إلى خير ولكن الضعف في القيادة....

لقد فوجئت بهذه الكلمة ورأيت أنها بلغت أعماق نفسي...

إن لدى المسلمين في مجموعاتهم العديدة طاقات هائلة لا تجد من يحسن توجيهها إلى السبيل المؤدية...

وكنت طالبا في كلية أصول الدين في الجامع الأزهر، وكنت ألاحظ أن هذه الجامعة الكبرى في العالم الإسلامي والجامعات الإسلامية الأخرى ليس في ملكها أن تخرج للمسلمين قادة ولكنها تخرج أُناسا عاديين لا يغنون في الشدائد غناءً كبيراً... أين أولئك الذين يتبعون في خطاهم ومسالكهم سيرة الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام-؟!

○ القيادة ليست إلا شطر القضية:-

كنت أحسب أن وجود القائد هو القضية كلها، ولقد دفعني ذلك إلى تتبع الموضوع بعض التتبع، فقرأت ما يذكر عن معاهد خاصة تنشأ لتخريج القادة، ومعاهد أخرى لعباقرة العلم الذين يرجى منهم أن يقودوا الحركة العلمية في مستقبل أيامهم، ومما يلفت النظر شكوى المشرفين على هؤلاء الطلاب من إفراطهم في الدرس وزهدهم في النوم والراحة...

وبعد تتبع الموضوع تبين أن القيادة ليست إلا شطر القضية، وشطرها الآخر الأمة بمجموع أفرادها، ولا بد من شروط تتحقق لتتم استجابة الأفراد للقيادة.

شروط في القيادة، وشروط في الأفراد أنفسهم، وكل ذلك يؤدي إلى تفاعل متبادل بين الجانبين وانسجام بينهما.

ويمكن السير في سبيل آخر في التعبير: هنالك إلى جانب القيادة الأولى قيادات أخرى عديدة، كقيادة المعلم في غرفة درسه، والمدير في مدرسته، والأم في منزلها، والرئيس في مصنعه ودائرته، وعالم القرية في قريته، وكل هذه القيادات لها أثر كبير في نجاح القيادة الأولى وحسن سيرها.

لقد دعا نوح -عليه السلام- قومه أحقابا من الدهر وما آمن معه إلا قليل، أما محمد -صلى الله عليه وسلم- فكان إلى جانب قيادته أفذاذ من الرجال تطأطئ لهم الجباه وتخضع لهم الجبابرة.

لا بد من تمهيد يتم من قبل القيادات الثانوية، وأن طلاب الجامعات الإسلامية لعلى ثغرة هامة فليتقوا الله في هذه الأمة.

○ المسلمون وضعوا موضع القيادة:

ولاختيار هذا الموضوع سبب آخر، هو أن المسلمين وضعوا موضع القيادة للعالم كله، وطلاب الجامعات الإسلامية أجدر الناس بمعرفة مكانتهم والحرص على استيفاء شروطها، قال تباركت أسماؤه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠].

وهذه الميزة تستلزم السمو والتفوق، وكل ذلك يؤدي إلى وراثة الأرض والخلافة فيها وقيادة الناس وتصريف شئونهم. قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور:٥٥].

○ المسلمون يحملون أشرف رسالة:

إن المسلمين خير أمة أخرجت للناس، ولذلك كانت لهم قيادة العالم بأسره، وهم خير أمة؛ لأنهم يحملون خير رسالة وأكرمها إلى الناس جميعا، ولقد فهم ربعي بن عامر هذه الرسالة أوضح فهمٍ حين وقف أمام رستم قائد الفرس رسولا من قبل سعد[1] يدعو إلى الإسلام قبل مناجزة القتال[2].

١ - هو سعد بن مالك القرشي الزهري المشهور ب(سعد بن أبي وقاص-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أحد العشرة المبشرين بالجنة، من أوائل من دخل الإسلام، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وكان مستجاب الدعوة، وكان حارسا للنبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في غزواته، وهو الذي تولى فتح بلاد فارس في زمن عمر بن الخطاب-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ومن أعظمها فتح القادسية في السنة السادسة عشرة، وهو من أهل الشورى الذي أختارهم عمر-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لاختيار الخليفة، وقد اعتزل الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وتوفي في بيته بالعقيق بالمدينة، على اختلاف في سنة الوفاة، وحمل على أكتاف الرجال إلى المسجد النبوي، وصلى عليه" مروان بن الحكم"، ودفن بالبقيع. انظر كتاب الاستيعاب (٢/٦٠٦-٦١٠).وكتاب الإصابة (٢/٣٣/ ٣٤).

٢ - يعني في معركة القادسية. وانظر تفصيل ذلك في تاريخ الطبري (٣/٥١٩) وما بعدها.

لقد قال رستم لربعي: إنما أخرجكم من دياركم الجوع؟ فقال ربعي: كان ذلك من قبل ولكنا الآن بعد أن بعث فينا محمد -ﷺ- جئنا لنخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام... إنها كلمة تحمل في ثناياها سنن الرشد كلها وأسس الخير جميعها:-

إن مهمة المسلمين إنقاذ الناس من الشرك بأنواعه، والوثنية بكل ضروبها، وفي ذلك تعود للإنسان إنسانيته وكرامته، فإذا ترك المرء القوانين التي يضعها الطغاة ليستمسك بشرعة الله كانت النتيجة أمرين:-

أولهما: الخروج من ضيق الدنيا الى سعتها.

ثانيهما: الخروج من أنواع الظلم التي يضعها الإنسان ليستعبد أخاه الإنسان إلى العدل الذي شرعه الله لعباده.

المسلمون خير أمة لأنهم يحملون رسالة الإسلام إلى الناس جميعا. ويقول الباحثون النفسيون إن الفرد الذي يحمل رسالة كريمة هو الفرد المتكامل في شخصيته، والذي لا يحمل رسالة كالقصبة الجوفاء، قلبه خاو وهو لا يعرف معنى الحياة، إنه يشرك العجماوات في تسلط شهواته عليه، وتملك غرائزه له ولكنه دونها، لأنها تؤدي رسالة هي خدمة الإنسان وإن كانت لا تشعر بها، وذاك ليس له رسالة في الحياة.

ويقول الباحثون الاجتماعيون أيضاً: دور حمل الرسالة هو دور نهوض الأمة وصعودها، ودور التخلي عن الرسالة هو دور الانحدار والهبوط، ولقد ظل المسلمون يصعدون برسالتهم حينا من الدهر ثم تخلوا عنها شيئاً فشيئاً، فعاشوا فترة يسيرون بقوة الدفعة الاولى، ثم كان دور الانحدار...

○ مدنية الغرب تؤذن بالدمار:

إنه لأمر خطير جداً، إننا نحمل اسم الإسلام ولكننا لا نحمل رسالة الإسلام، ويدعي الغربيون أنهم حملة الرسالة اليوم، وأن رسالتهم رسالة العلم، ولكن صيحات من أطراف العالم المتمدين اليوم أخذت تدوي في العالم كله تعلن أن هذا العلم فاقد للروح، وأنه وسيلة للدمار وأن الأنظمة التي وضعها البشر لإسعاد البشر لم تؤد إلا إلى شقائه ودماره. إن المدنية الغربية يئن أصحابها من أنواع الظلمات التي يعانونها، وأنهم يطلبون الخلاص، وأن كثيراً من علمائهم يشيرون إلى بلاد الشرق مهبط النبوات يرجون منها النجاة... والذي يتاح له أن يزور تلك البلاد لا يعدم أن يصادف كثيراً من الشبان وغيرهم يتلهفون لمعرفة الحقيقة وينشدون راحة لقلوبهم وطمأنينة لنفوسهم، إن فطرهم تبحث عن الإيمان بالذي خلقهم ولكنهم لا يجدون من يهديهم إلى سواء السبيل.

○ المسلمون اليوم لا يحملون رسالة الاسلام:

رسالتك يا أخي أن تؤمن بالله وأن تكون عبد الله وحده لا عبد لنفسك، وأن تحقق معنى العبودية لله في قلبك فلا يكون لك في هذه الحياة الدنيا إلا هم واحد هو مرضاة الله وابتغاء وجهه.

وأحب أن أقول: إنني ما استطعت وقد جاوزت الكهولة، أن أحقق هذا المعنى في نفسي، ولو كان لي ذلك لشعرت بكثير من السعادة، ولكني ما زلت أُعالج نفسي، وأجد العناء، لأني ما أخلصتُ في عبوديتي، والمقياس في ذلك أن أطلب ما يطلبه الحق مني دون مبالاة برضا راضٍ أو سخط ساخطٍ.

وتعال بنا ليسأل الواحد منا نفسه، ما هو غرضنا من الحياة وما هي رسالتنا؟

والجواب: أنا نعيش لأنفسنا وأغراضنا. إن الرسالة التي نقدمها رسالة قاصرة بتراء هزيلة، وإننا، نحن المربين، لا نخرج للناس رجالاً، ولا نخرج أبطالاً مؤمنين حقاً، والأسباب عديدة أولها وأكبرها نقص في أنفسنا، ويتبع هذا نقص مناهجنا ووسائلنا، ويلي ذلك الوسط الذي نعيش فيه الذي يطبعنا بطابعه وينفث فينا سمومه وضعفه ومخدراته.

○ لا بد أن تكون الرسالة مهيمنة على القلب:

ولا تكون الرسالة إلا إذا هيمنت على القلب وغلبت على النفس كلها ...

ومثال ذلك: إنسان هيمن حب العلم على قلبه، فهو يعكف عليه عكوفا ينسيه نفسه ومن حوله، وينسيه طعامه وشرابه والملذات التي يطلبها الناس، والمتع التي يفرط في السعي وراءها الكبار والصغار.

وفي تاريخ العلم أمثلة كثيرة لهذا النوع من العلماء، ولقد كان الرسل جميعا من هؤلاء الذين غلبت على نفوسهم فكرة واحدة وهبوها حياتهم كلها، وكان المصلحون الذين يتأسون سيرة الأنبياء من بعدهم من هذا النوع.

كان صلاح الدين[1] بن أيوب كالوالهة الثكلى فقدت وحيدها، يتململ في فراشه ويتقلب فيه، ولا يجد النوم سبيلا إلى جفنيه، كانت الفكرة التي غلبت على قلبه استرداد المسجد الأقصى وانتزاعه من أيدي الصليبيين.

---

١ - هو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي الملك الناصر "صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية واليمنية" ترجع أصوله إلى الأكراد، ولد في قلعة تكريت بالعراق سنة (٥٣٢)هـ.تصدى لجيوش الأفرنج في بلاد مصر وبلاد الشام وكتب الله عليه يديه النصر والعزة للإسلام والمسلمين، توفي -رَحِمَهُ اللَّهُ- سنة ()هـ انظر وفيات الأعيان (٧/ ١٣٩.)

○ كيف نربي أبناءنا على حمل الرسالة:-

يمتص الطفل المعاني التي يستمع إليها من والديه ويشاركهما في انفعالاتهما، وتترك آهات الأم وحسراتها أثراً كبيراً في نفس الطفل، وهكذا تتكون المعاني الأولى في قلب الطفل... ولا يستمع الطفل في البيئة الإسلامية من أبويه أي معنى من معاني البطولة والتضحية والجهاد وأعمال المسلمين في عصورهم الأولى، ولكن الآهات والحسرات في سبيل الشهادات العليا التي تجر وراءها النعم الرغيدة.

كان يجب أن يغرس حب هذه الرسالة في قلب الطفل منذ نعومة أظفاره وذلك حين يستمع إلى أبويه يحدثانه بأخبار الأبطال وسير الرجال كيف جاهدوا، وكيف آثروا الرسالة على كل متع الدنيا، وكيف أحبوا الاستشهاد في سبيل الله، وبذلوا الوسع لإدراكه، ولو كان الأمر كذلك؛ لكان للمسلمين شأن آخر في العالم كله.

وكما يتأثر الطفل بما يسمع من أمه وأبيه يتأثر كذلك بما يسمع من أستاذه ومربيه، ويتأثر تأثرا قويا بسلوك من حوله وقد يعجب بأستاذه فيتقمص شخصيته ويتأثر خطاه، والمدرسة في مجتمعنا لا تختلف في الروح والجوهر عن المنزل كثيراً، وليس التنافس في المعاهد العلمية بالأعمال الطيبة والسير الحميدة والإنتاج العلمي الصحيح، ولكن بمقدار ما يحفظ الطالب من العلم حفظاً يصدق عليه في الغالب أنه حفظ بلا وعي.

والوسط الذي يعيش فيه الطالب بكل وسائله على الأكثر الغالب معاد لكل المعاني المثالية السامية، ونتيجة ذلك أننا نجد طلاب الجامعات في البلاد الإسلامية بعيدين كل البعد عن حمل رسالة أو تبليغ دعوة إلا من رحم ربك ممن تغلبت فطرهم السليمة على كل العوائق فأرادوا السير ومضوا يتعثرون.

○ القائد أصدق من يحمل الرسالة:-

الصفة الأولى للقيادة: حمل الرسالة وقد امتلأ بها قلب القائد فكان أصدق من يحملها وأخلص من يمثلها وينشأ عن ذلك صفات كثيرة نذكر منها ما يلي:-

○ حامل الرسالة يتوجه وجهة واحدة:-

صاحب الرسالة إذا هيمنت رسالته على قلبه خضعت غرائزه ودوافعه جميعها لرسالته، فهو يغضب ويخاف ويحب أبناءه، ويجمع المال ويدخره ويستعلي ويتواضع؛ ولكنه يغضب في سبيل رسالته ويخاف من أجلها ويحب أبناءه إذا أعانوه على حمل رسالته، ويجمع المال لينفقه في سبيل رسالته ويستعلي على أعداء الرسالة ويتواضع لأصحابها. وبكلمة واحدة أصبحت قوى النفس ودوافعها جميعها جنودا طيعة خاضعة لقيادة واحدة، وهذا ما يسمى بوحدة النفس وخلوها من

التنازع الداخلي وسلامتها من أنواع الصراع النفسي، وفي مثل هذه الحال يندفع صاحب الرسالة إلى غايته اقوي اندفاع لا يعوقه صراع داخلي، ولا يقف في سبيله عقبة في الخارج؛ يتوجه بكل طاقاته إلى غايته كالسهم المريش وبذلك يكون أقوى إنسان تعرفه البشرية.

○ صاحب الرسالة لا يقر ولا يستقر:-

ومثل هذا الإيمان لا يقر صاحبه ولا يستقر ولا يعرف كللاً ولا مللاً ولا يطلب راحة ولا هدوءا.

يقول غوستاف لوبون[1]: إن من الخير أن أمثال هؤلاء قلة في العالم ولو كانوا كثيرين لأحدثوا في كل يوم انقلاباً في العالم.

---

١ - عالم فرنسي عمل في الطب والتاريخ.، وتجول في أوربا وآسيا وشمال أفريقيا، وله مؤلفات عديدة من أشهرها كتاب "حضارة العرب" وله غير ذلك، وله موقف عدائي من اليهود، ويصفهم بالبداوة والوحشية والإفك. انظر الموسوعة الحرة.

○ حمل الرسالة أقوى وسيلة لتنمية روح الولاء بين الأفراد:-

صاحب الرسالة تتغير مقاييسه، فالولاء لمن يوالي رسالته، والعداء لمن يعاديها، والقرب ليس قرب النسب ولكنه القرب من الرسالة، وبذلك كان حمل الرسالة أقوى عامل في دعم روح الود والولاء بين أفراد الجماعة.

○ حمل الرسالة يحتاج الى غذاء دائم:-

ثم إن حمل الرسالة يحتاج إلى غذاء دائم في الناحية الفكرية والوجدانية والعلمية، ومن الأخطاء التي تعيش فيها الجامعات الإسلامية أن أبناءها لا يجدون من هذا الغذاء شيئاً ولا سيما الغذاء العلمي، ليس هنالك في الجامعات الإسلامية منهاج عملي للدعوة إلى

جانب المنهاج النظري العلمي وكان الواجب أن يسير كل إلى جانب صاحبه.

يجب أن يجد الطالب في الجامعات الإسلامية جواً خاصاً يرتفع عن الأجواء العامة؛ لأن مهمة الجامعات أن تنعكس آثارها على المجتمعات العامة فترقى بها، وإذا ارتقى المجتمع عاد إلى الجامعات فزاد في الإنفاق عليها والسهر على إصلاح حالها فعاد ذلك على المجتمع بدرجة أخرى من الرقي...

○ صاحب الرسالة لا يزحزح عن مبدئه:-

حمل الرسالة ينشئ إنساناً ثابتاً في حمل رسالته لا يحيد عن مبدئه ولا يزحزح عن مكانه، ولقد كان محمد-ﷺ- المثل الكامل لذلك؛ والرواية التي يرويها ابن

إسحاق[1] تمثل هذا المعنى أصدق تمثيل حين يقول:- ﷺ-: ((والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه)). وكذلك شأن عتاب الله لرسوله في قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ ۝٦ ﴾ [الكهف:٦].

○ صاحب الرسالة يشعر بالسعادة الكبرى:-

وهذا المعنى ينبثق منه الصبر على الملمات والثبات عند مواجهة العقبات، وهذا شأن القيادة تصبر على المصائب وتثبت في مواجهة الشدائد صبراً مقرونا بالأمل والثقة بنصر الله، والطمأنينة إلى تأييده، ويقترن كل هذا بالشعور بالسعادة الكبرى. فصاحب الرسالة

١ - هو المؤرخ والمحدث محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني القرشي، ولد بالمدينة (م ٨٥هـ) وكانت له رحلات متعددة، واستقرت به رحلاته في بغداد، وتوفي بها عام(١٥٠هـ) -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-

سعيد وإن كان يسام سوء العذاب وهو راض مطمئن النفس وإن أحدق به الجاهلون وأحاط به المستهزئون.

○ صاحب الرسالة ذو بصر بالأمور:-

وينبثق عن كل هذا أيضا دراسة الموقف دراسة كاملة مستوعبة، والإحاطة بالمشكلات التي تعترض سبيل الرسالة ودراسة الوسائل التي تحقق أغراض الرسالة، واكتشاف طاقات الأعوان والأنصار، ومعرفة مقدرة كل منهم والمجالات التي يحسنون فيها، ووضع الأمور موضعها. إن معرفة الرجال أمر هام جداً؛ ولقد قال عمر بن الخطاب يثني على أبي بكر- رضي الله عنهما-: (رحم الله أبا بكر كان أعرف مني بالرجال[1])، قال هذه الكلمة عمر- رضي الله عنه- حين عزل خالد بن الوليد -رضي الله عنه- عن القيادة فقاتل خالد جندياً، وفي معركة

---

١ - انظر هذه المقالة في تاريخ ابن جرير الطبري (٣/ ٦٠١).

من المعارك فتح خالد قنسرين[1] هو وثلّةٌ من أصحابه بمعجزة حربية، فلما بلغ ذلك عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال كلمته: ((أمر خالد نفسه؛ رحم الله أبا بكر كان أعرف مني بالرجال[2])).

○ من صفات القيادة تربية روح حمل المسئولية لدى أتباعهم:-

هذه بعض صفات القائد التي تنبثق عن صفة أولى هامة أساسية، هي حمل الرسالة رسالة العقيدة والإيمان، وهنالك صفة هامة أخرى تنبثق أيضاً عن هذه الصفة وتلزمها تفرد بالذكر لأهميتها وهي: تربية الأفراد تربية تؤهلهم للقيادة؛ وبتعبير آخر : تربية روح الثقة وحمل المسئولية في الأفراد جميعاً ولا سيما الذين يحيطون

---

١ - هذه إحدى مدن بلاد الشام وهي أقرب إلى مدينة حلب من غيرها. انظر الحديث عنها في تاريخ ابن جرير الطبري (٣/ ٦٠١).

٢ - انظر تاريخ ابن جرير الطبري (٣/ ٦٠١).

بالقيادة ويرجى منهم الاضطلاع بأعباء القيادة إذا فقدت القيادة الأولى.

○ القيادة الدكتاتورية:

ونشير هنا إلى أن التربية الحديثة والأنظمة الحديثة تذكر نوعين من تربية الأفراد.

الأولى: مقالة الفاشية[1] والنازية[1] والشيوعية[2]. وتشترك هذه في وجود حاكم واحد وحزب واحد

١- الفاشية: هي فكرة سلطوية نشأة من خلال حركات سياسية قومية وطنية، تهدف إلى تبجيل الدولة، والحب للقائد القوي، وترى العنف هو الطريق إلى النهضة الوطنية، كما ترى أن الأقوى له الحق في مدّ نفوذه،وإزاحة الأضعف.وتعتبر إيطاليا أولى البلدان التي نشأت فيها الفاشية عام (**١٩٢٠م**) على إثر اضطرابات عمالية،كادت تستولي على عناصر الإنتاج، وعلى إثر هذه الحركة قام الفاشي "موسوليني" بالتعاون مع بعض الجماعات، عقب الحرب العالمية الأولى، وأسس الحزب الفاشي الذي حكم البلاد وشكل الحكومة عام (**١٩٢٢م**) ويرى "موسوليني" أن إرادة الشعب ليست الوسيلة للحكم، وإنما القوة هي الوسيلة لفرض القانون، وقد سقطت الفاشية في إيطاليا بموت الزعيم "موسوليني" بعد الحرب العالمية الثانية. انظر:الموسوعة الحرة.

وتبني هذه الأنظمة فلسفتها على أن مصالح الفرد مهددة في سبيل الجماعة؛ ويربي الأفراد ههنا على التبعية التامة والطاعة العمياء، وتستغل طاقات الأفراد جميعها في الاتجاه الذي يختاره الحزب الحاكم، ويحاط الرئيس بهالة من القداسة فلا ينتقد ولا يعارض؛ لأنه في نظر أتباعه لا يخطئ!

١- والنازية: هي حركة سياسية تأثرت بالحركة الفاشية، وتأسست "النازية" بألمانيا" بعد الحرب العالمية الأولى، بزعامة عدو اليهود "هتلر"عام (**١٩٣٣**م) من خلال الحزب القومي الاشتراكي الألماني، وقد سقطت النازية مع انتهاء الحرب العالمية الثانية عام (**١٩٤٥**م) وأعلن عن هذا الحزب في ألمانيا إنه غير قانوني، ويمنع نشر أفكاره واستعمال رموزه. انظر: الموسوعة الحرة.

١- والشيوعية: هي مذهب فكري إلحادي أسسها "كارل ماركس" اليهودي في ألمانيا، وساعده في ذلك"إنجلز" وقامت عليها الثورة البلشفية في روسيا على يد "لينين" عام(**١٩١٧**م) ثم" ستالين" ثم "تروتسكي". انظر الموسوعة الميسرة. (**٢/ ٩٢٩-٩٣٤**).

○ القيادة الديمقراطية:-

النوع الثاني: من التربية ينعته أصحابه باسم التربية الديمقراطية[1] ويدّعون أنهم يتيحون في نظامهم الفرص المتكافئة للأفراد جميعا، وأنهم يربون أبناءهم على الثقة بالنفس والاعتداد بها وتنمية المواهب حتى يبلغ أقصى حد يمكن أن تبلغه، وفي هذه التربية يختار الأفراد مصيرهم والمجال الذي يعملون فيه، وتدعي هذه التربية بعد هذا كله أنها مع مراعاتها لحرية الأفراد تنشئهم على مبادئ الجماعة، وتستغل طاقاتهم في سبيل الجماعة، وتحدث الانسجام التام بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة كيلا تطغى إحداهن على الأخرى.

---

١ - الديمقراطية: هي نظام غربي كافر يمارس فيه الشعب السيادة المطلقة بواسطة مجلس منتخب من النواب عن الشعب، وهي من النظم المحاربة لله تعالى، حيث سلبت سيادة الله تعالى في كل شئ، وجعلتها للشعب. انظر: الموسوعة الميسرة (١٠٦٦/٢) والموسوعة الحرة.

وليس موضوعنا انتقاد كل من هذين الاتجاهين، وبيان الواقع في كل منهما ولكنا مهدنا بها ذكرنا لنبين أن القيادة الإسلامية بعيدة أشد البعد عن التربية الأولى التي تنشئ أتباعاً عبيداً، والتي تغلو في تعظيم القائد فتعطيه ما ليس له، ثم تقتل في الأفراد روح الثقة بالنفس والاضطلاع بحمل المسئولية.

○ **محمد -ﷺ- يربي أصحابه على عدم الغلو في تعظيمه:-**

كان محمد -ﷺ- يكره إن يمتاز بشيء عن أصحابه، وكان أصحابه -رضي الله عنهم- لا يقومون له إذا دخل عليهم لما يعلمون من كراهته ذلك... وكان يربي أصحابه على الجرأة في قول الحق والصدع به، وكان -ﷺ- يعيد على مسامع أصحابه أنه بشر يرضى ويغضب ويخطئ؛ كما يرضى البشر ويغضبون

ويخطئون... ويقول لأصحابه: (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم ولكن قولوا عبداً لله ورسوله[1])..

ولقد قرأت فيما قرأت لبعض المستشرقين كلمة يثني فيها على محمد بن عبد الله -ﷺ- ويقول: كان محمد أشد ذكاء من الرسل الذين سبقوه، ولعله أفاد من تجربتهم؛ فلقد كان يبدئ ويعيد أنه بشر كيلا يقع أصحابه في تأليهه كما سبق ذلك لعيسى -عليه السلام-.

○ لا غلو في تعظيم القيادة في الإسلام:-

ليس الغلو في التعظيم للقيادة مما أتى به محمد-ﷺ-.

ويحسن أن نفرق بين حب القائد واتباعه وطاعته واحترامه، وبين الغلو في تعظيمه تعظيماً يمنحه نوعاً من القداسة والعصمة.

١ - رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء.حديث رقم (٣٤٤٥)

إن الاتجاه الأول محمود مطلوب، والثاني مذموم مردود.

○ محمد -صلى الله عليه وسلم- يدرب أصحابه على حمل المسئولية:-

لقد كان محمد -صلى الله عليه وسلم- في شتى المناسبات يدرب أصحابه على حمل المسئولية ليضطلعوا بأعباء القيادة من بعده، فكان يستشيرهم في كل مناسبة، وكثيراً ما يعدل عن رأيه إلى رأيهم، لأن في رأيهم صواباً:-

ففي غزوة أحد أقعد ببعض أصحاب رسول الله حينما نادى مناد بأن محمداً -صلى الله عليه وسلم- قد مات، وقد مرّ بهؤلاء أنس بن النضر(١) فقال: ما يقعدكم؟ قالوا: مات

١ - هو الأنصاري الخزرجي-رضي الله عنه- قتل يوم أحد بعد أن أبلي بلاء حسنا، ومثّل به، وهو الذي اعتذر مما صنع المسلمون، وتبرأ مما جاء به المشركون. انظر: الاستيعاب (١/١٠٨). والإصابة (١/٧٤).

رسول الله ﷺ، فقال لهم: قوموا فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه(١).

ونزل بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٤].

وكانت الآية الكريمة عتاباً أليماً للأصحاب الذين تخلوا عن حمل المسئولية بعد موت القائد، وهي تهيب بهم أن يفعلوا كما فعل أنس -رضي الله عنه-. والآية الكريمة تنادي كل مسلم أن يقوم بحمل الرسالة ولو لم يبق على ظهر الأرض غيره.

١ - انظر سيرة ابن هشام (٣/٨٣) ط: مؤسسة علوم القرآن.

○ **محمد -ﷺ- يرجع إلى رأي أصحابه:-**

وفي غزوة بدر ترك -ﷺ- رأيه لرأي الحباب ابن المنذر[1] حين قال له: أهذا منزل أنزلكه الله يا رسول الله أم الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: -ﷺ-: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال الحباب: ما هذا بمنزل[2].

وفي غزوة الأحزاب يوشك -ﷺ- أن يعقد صلحاً مع بني غطفان على ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا

١ - هو ابن الجموح الأنصاري الخزرجي -رضي الله عنه- له مواقف وآراء عظيمة،كان يقال له ذوالرأي، شهد المشاهد كلها مع رسول الله -ﷺ- مات في خلافة عمر -رضي الله عنه- انظر: الإستيعاب (١/٣١٦). والإصابة (١/٣٠٢).

٢ - ذكره ابن إسحاق في السيرة، ونقله عنه ابن حجر في كتاب الإصابة (١/٣٠٢).

عنها، ولما استشار -ﷺ- سعد بن معاذ[1] وسعد ابن عبادة[2] سألاه أهو وحي أم شيء يحبه -ﷺ- أم هو تدبير الحرب؟ فلما علما أن الأمر من تدبير الحرب، قالا: والله لا نعطيهم إلا السيف؛ فسره ذلك -ﷺ- ورجع إلى رأيهم[3].

---

١ -هو سيد الأوس- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وهو الذي أجيبت دعوته في حكم بني قريظة، اهتز له عرش الرحمن يوم مات، ومات في السنة الخامسة بعد الأحزاب بشهر، وبعد حادث بني قريظة بليال. انظر: الإستيعاب (٢/٦٠٢-٦٠٥). والإصابة (٢/٣٧).

٢ - سيد الخزرج-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- من أهل العقبة،وكان من النقباء، ومشهود له بالجود والسيادة والرأي، وكان بيده الراية يوم الفتح، مات ببلاد الشام في خلافة عمر-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وجدوه ميتا في مغتسله. انظر الاستيعاب(٢/٥٩٤-٥٩٩). والإصابة (٢/٣٠).

٣ - انظر السيرة النبوية. لابن هشام (٣/٢٢٣).

○ **الأمثلة كثيرة وكلها إلى جانب سيرته -ﷺ- وسيره في أصحابه تعطي نتائج ثلاث:-**

١- عدم الغلو في تعظيم القائد وعدم اعتقاد العصمة له.

٢- رسول الله -ﷺ- بشر له صفات البشر غير أنه يوحى إليه.....

٣- على القائد أن يدرب أتباعه على حمل المسئولية في حياته ومن بعده، ولذلك يستشيرهم، ويرجع إلى رأيهم إذا كان صواباً ولا يمتاز عنهم بميزات خاصة.

○ **يحسن بالعالم والمدرس أن يعترفا بالخطأ إذا وقع منهما خطأ:-**

ومن المؤسف أن كثيراً ممن انتهت إليهم الرئاسة العلمية في مجتمعنا قد نسوا كثيرا من هذه المعاني،

وأخذوا بتربية أتباعهم على الغلو في تعظيمهم، وتأويل خطئهم وتفسير سلوكهم، وإن خالف القواعد الشرعية، بأن وراءه أسراراً وحكماً لا تدركها عقول الأتباع القاصرة، وبذلك ينتهي هؤلاء الأتباع إلى أن شيوخهم لا يخطئون، لأنهم قد بلغوا الدرجات.

وبهذه المناسبة ربما حسن أن نذكر ظاهرة تتعلق بالأساتذة المربين، الذين أُسلِموا تربية أبناء الأمة فكانوا على ثغرة هامة، وأذكر بهذا الصدد أستاذا في معهد التربية في القاهرة عام **١٩٤٧**م وضع أمام طلابه المشكلة التالية:-

أيهما أولى بالمدرس أن يعلن خطأه إذا وقع منه خطأ ويعترف به، أم يتفادى الموقف ويستر خطأه؟

وكان رأي الأستاذ أن يعترف المدرس بخطئه إذا وقع منه، ويعلنه بكل صراحة، وهذا هو اتجاه الإسلام في رأيي.

وإني لأعلم أن ثقة الطلاب بمدرسيهم تهتز حين يرونه قد أخطأ، وكثير من الأخوة المدرسين يرون أن الاحتفاظ بمكانتهم في نفوس طلابهم أمر ضروري هام، يهون معه ارتكاب هذه المخالفة – أعني سكوت المرء عن الاعتراف بخطئه – .

وفي رأيي أن هذا النوع من التربية الشائع في بيئتنا خطأ يجب إصلاحه.

إن الشيء الفطري الذي يمكن أن يقع كثيراً أن يفطن أحد الطلاب لأمر قد غفل عنه أستاذه، وأية عظمة في هذا؟ بل إنه لمدعاة إلى الثناء على الأستاذ أن يستطيع أن يدفع بطلابه إلى البحث والتفطن لما لم يفطن له.

ومما يؤسف له أن كثيراً من المدرسين في البلاد العربية لا يجد أحدهم ما يغض من قدره حين يعلن لطلابه أنه أخطأ في أمر، وأن تلميذه قد أصاب. ليس العيب أن يخطئ المرء، ولكن العيب أن يصر على خطئه فلا ينزع عنه ولا يعترف به.

ولقد أخذ الغربيون هذه العادة الكريمة من المسلمين، وتعلموا منهم أن البشر ليسوا بمعصومين من الخطأ، وكان البابا عندهم يدعي لنفسه العصمة، وما يزال أمره كذلك لدى بعض الفرق النصرانية، وكان نشوء دعوات الإصلاح الديني لدى النصارى بعد الاتصال بالمسلمين في الحروب الصليبية.

○ **يجب أن نعرف ضعفنا وأخطاءنا:-**

يلومني كثير من الإخوان لاعترافي بتقصيري وذكرى على الملأ كثيرا من الصفات التي تقعد بي عن

النهوض في خدمة أمتي، ويقول هؤلاء الإخوان: الأولى ترك ذكر المثبطات. وأقول: إن أبناءنا يشمون نواحي الضعف في أساتذتهم وآبائهم؛ وليس من الخير أن نعمّي عليهم الأمور، بل الخير أن نصف الواقع ونعرف الواقع معرفة دقيقة، وكثير منا لا يرى ضعفا في نفسه، وكثير يعرف نواحي الضعف معرفة غامضة.

يجب أن نعتاد التأمل في نفوسنا تأملاً دقيقاً، يكشف خفايا النفوس ويضع أيدينا على مواطن الضعف، فذلك ييسر لنا سبيل العلاج ويكون دافعاً إلى السير إلى الأمام.

○ **ليس من الخير أن نعود طلابنا تلقي كل ما يلقى إليهم:-**

يسر كثيراً من المدرسين ذلك الطالب الهادئ الذي يتقبل كل ما يلقى إليه، ولا يعارض في شيء، ويسوؤهم أولئك الذين يكثرون من السؤال ويطلبون زيادة في الإيضاح.

وليس من شك أن الطالب الذي يسأل للشغب وللظهور أمام رفاقه بمظهر المعترض هو طالب يحتاج إلى إصلاح، ولكن ليس من الخير أن نعود أبناءنا أن يتقبلوا كل ما يلقى دون سؤال أو استفهام.

إن هذا المعنى ينطوي على نقص نفسي خلقي، فقد يكون العامل فيه نمو الاستعداد للتقبل، وضمور روح النقد لدى الطالب، وقد يكون الدافع إليه المداجاة والمراءات[1]...يجب أن يحترم الطالب أستاذه ويدلي في الوقت نفسه بما يجول في خاطره من سؤال بأدب وصدق وإخلاص.

١ - جمع مراء، والمراء هو الطعن في كلام الغير، من باب التحقير له. انظر: التعريفات للجرجاني. ص١٨٤.

○ أخذ العهد على المسلم أن يقول بالحق حيث كان:-

لقد انحرف المسلمون بكل أسف عن المعنى الذي ربّى رسول الله -ﷺ- أصحابه: الجرأة في الحق وإعلانه والصدع به بصدق وإخلاص. وكان العهد الذي أخذ على الأصحاب في بيعة العقبة الكبرى[1] أن يقولوا بالحق حيثما كانوا لا يخشون في الحق لومة لائم.

وحين كُمّتْ الأفواه وأصبح المسلم يخشى أن يقول كلمة الحق تودع من الأمة، وانتهينا اليوم إلى أحد رجلين:

- **معارض وقح لا يريد الحق ولا يبغي الخير.**
- **أو موافق مراء مصانع، يقول بلسانه ما لا يعتقد بقلبه.**

١ - انظر السيرة النبوية لابن هشام (١/٤٣٣-٤٣٤).

أما الصنف الثالث فقد أصبح نادراً جداً.

ذكرت **صفتين هامتين** من صفات القيادة:

أولهما: حمل الرسالة وما يتبعها من أمور هامة.

الثانية: تربية الأتباع تربية السادة لا تربية العبيد، تربية الذين يحملون عظائم الأمور وينهضون بها.

... والله الموفق إلى الحق والهادي إلى سواء السبيل ...

الفهرس

الموضوع **الصفحة**